

غزوة بني قينقاع

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وادع يهودها على ألا يعينوا عليه أحداً، وأنه إن دهمه بها عدو بادروا إلى نصرته وأعانوه عليه، وحين علمت يهود بما صنعه المسلمون ببدر، واطلعوا على الخسائر الفادحة التي نزلت بقریش حسدوه على ذلك، وقالوا: إن «محمدًا» لم يلق من يحسن القتال، ولو لقينا لوجد قتالاً لا يعرف مثله أحد، وأبدوا نقضاً لما عاهدوه عليه، فأرسل إليهم أن يلقوه في سوق بني قينقاع، ثم قال حين لقيهم: (يا معشر اليهود! احذروا من الله ﷻ مثل ما نزل بقریش من النعمة، وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أنني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم، وفي عهد الله إليكم)، قالوا: يا محمد! إنك ترى أنا كقومك! لا يغررك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، إنا والله! لئن حاربنا لتعلمن أنا نحن الناس، وكان بنو قينقاع أول يهود ينقضون عهدهم مع رسول الله ﷺ، وحاربوا بين (بدر) و(أُحُد). وكان غزو رسول الله ﷺ لهم في شهر شوال من السنة الثانية للهجرة. وجاء «جبريل» ﷺ رسول الله ﷺ بهذه الآية: ﴿وَأَمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَإِنِّدْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨]، فسار إليهم رسول الله ﷺ بها، ثم حاصرهم خمس عشرة ليلة لا يظهر منهم أحد، ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فجاءه رأس المنافقين «عبد الله بن أبي ابن سلول» حين أمكنه الله منهم فقال: يا محمد! أحسن في موالي - وكانوا حلفاء الخزرج - فأبطأ عليه النبي ﷺ، فقال: يا محمد! أحسن في موالي - فأعرض عنه النبي ﷺ فأدخل يده في جيب رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «أرسلني»، وغضب رسول الله ﷺ حتى تلوّن وجهه

الشريف، ثم قال: (ويحك، أرسلني!) قال: لا، والله! لا أرسلك حتى تحسن إلى موالي، وكانوا أربعمائة حاسر، وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأسود والأحمر، تحصدهم في غداة واحدة! وإني، والله! لا آمن، وأخشى الدوائر، فقال رسول الله ﷺ: (هم لك).

وذكر عاصم بن عمر بن قتادة أن النبي ﷺ قال: (خذوهم لعنهم الله ولعنه معهم!)، فأرسلوهم، ثم أمر بإجلائهم، وغنم الله تعالى رسوله ﷺ والمسلمين ما كان لهم من مال - ولم تكن لهم أرضون، إنما كانوا صاغة، فأخذ رسول الله ﷺ لهم سلاحاً كثيراً وآلة صياغتهم، وأمر «عبادة بن الصامت» بإخراجهم، فسار بهم حتى وصلوا (ذباب)، وهو يقول: الشرف الأبعد، الأقصى فالأقصى.

وكان «حمزة بن عبد المطلب» صاحب لوائه الأبيض، ثم وزع الغنائم، فأخذ لنفسه الخمس، وفَضَّ الأربعة الأخماس على أصحابه، وكان ذلك أول خمس خَمَسه النبي ﷺ في الإسلام، وأول خمس قبضه، ثم جاء المدينة، وحضر (الأضحى). فخرج بأصحابه إلى المصلَّى فصلى بهم، وكانت تلك أول صلاة عيد صلاها في المدينة بالمصلَّى، ثم ذبح بالمصلَّى شاتين بيده الشريفة وقيل: شاة، وكذلك ذبح أهل اليُسْر من أصحابه.

وقال ابن هشام^(١): وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخزومة عن أبي عون، قال: كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب، قدمت بجَلَب^(٢) لها، فباعته بسوق قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها، فعمده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهودياً، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب

(١) انظر السيرة (٣/٥٤).

(٢) الجَلَب: ما يجلب للسوق ليبيع.

المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع، وروي عن «عبادة بن الصامت» وهو أحد نقباء الأنصار الاثني عشر، قال:

لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تَشَبَّثَ بأمرهم «عبد الله بن أبي ابن سلول»، وقام دونهم، قال: ومشي «عبادة بن الصامت» إلى رسول الله ﷺ وكان أحد بني عوف لهم من حلفه مثل الذي لهم من «عبد الله بن أبي» فخلعهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله ﷻ، وإلى رسوله ﷺ من حلفهم، وقال: يا رسول الله! أتولى الله ورسوله ﷺ والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم، قال: ففيه وفي «عبد الله بن أبي» نزلت هذه القصة من المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴿[المائدة: ٥١، ٥٢]﴾ أَي: لعبد الله بن أبي، وقوله: إني أخشى الدوائر ﴿يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدِيمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُؤَلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴿[المائدة: ٥٢، ٥٣]﴾ ثُمَّ الْقِصَّةُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، وذكر لتولي عبادة بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا، وتبرته من بني قينقاع وحلفهم وولايتهم: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

ومن عجب! أن يثق الناس بل المسلمون منهم في هذا الزمان باليهود الذين خانوا الله، وقتلوا أنبياءه، ونقضوا عهودهم مع رسله، فهل فيهم ذرة من خير بعد كل هذا الذي صنعوه؟ وأي قيمة لما يعطونه من الموائيق؟